

أثر
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
في حياة الأمة

عبدالله بن حسن بن محمد ال قعود

دارُ القاصمِ

الرياض

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أثر

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
في حياة الأمة

مكتبة دار السلاسل
الرس / سوق الممنطرة
ص ٥ ب (٢٠٤)
هـ (٣٣٣٦٦٩٢)

حقوق الطبع محفوظة

من أراد طباعته لوجه الله
فلا مانع بعد موافقة
الناشر أو المؤلف الخطية

الطبعة الأولى

جمادى الأولى ١٤١٤هـ

دار العائمه

المملكة العربية السعودية

الرياض - ص. ب. ٤٢٥٠٧ - الرمز البريدي ١١٥٥١
هاتف ٤٩١٥١٥٤ / ٤٩٣٣٣١٨ - فاكس ٤٩١٥١٥٤

المدخل إلى الموضوع

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونستهديه، ونعوذ به من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه من خلقه وحببيه، أرسله الله هادياً وبشيراً ونذيراً ورسولاً إلى الناس أجمعين، فبلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة حتى لقي الله في الرفيق الأعلى صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد: (١)

فيسرني أيها الإخوة المؤمنون أن ألتقي بكم في هذه الليلة وفي موضوع مهم للجميع، موضوع جاء به القرآن كما جاءت

(١) أصل هذه الرسالة محاضرة ألقاها فضيلة الشيخ عبدالله بن حسن آل قعود في جمعية الإصلاح في الكويت، وقد أذن لنا مشكوراً بإخراجها، ونشرها على هيئة رسالة راجين من الله الانتفاع بها.

به السنة المطهرة، ألا وهو موضوع :

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأثره في حياة الأمة

هذا الموضوع أيها الإخوة لم يعد خافياً أبداً على ذي لب، ولن يظل خافياً يوماً ما بإذن الله .

- فهو مهمة رسل الله الكرام، عليهم الصلاة والسلام .
- ومهمة أتباع الرسل، من لدن أن بزغ فجر الإسلام؛ وبدأ التكليف على البشرية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . وهو خير الوارثين .

نعم، إنه مهمة الرسل الذي أنزل الله به كتبه وأرسل به رسله، فوالله ما أنزلت الكتب ولا أرسلت الرسل إلا لهذا الأمر، وهو «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» .

* الأمر بالمعروف الذي رأسه وأصله توحيد الله الذي خلق الثقلان من أجله قال تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ . (الذاريات، الآية: ٥٦) .

* والنهي عن المنكر، الذي أصله ورأسه الشرك بالله المضاد لتوحيد الله، الذي خلق الله تعالى الثقلين من أجله .

* الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، الذي رفعت به
رايات الجهاد ونصر به دين الله، وارتفعت به كلمته، بل
وسادت به دولته يوم أن كانت دولته.

يقول جلا وعلا، في وصف رسالة نبينا محمد ﷺ، والتي هي
إتمام لرسالات الرسل، وختم لها: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ
النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ
يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ
عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾. (الأعراف، الآية: ١٥٧).

* وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ،
قال: «إِنَّ مِثْلِي وَمِثْلَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمِثْلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا
فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبْنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ
يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ: هَلَّا وَضَعْتَ هَذِهِ اللَّبْنَةَ؟
قال: فَأَنَا اللَّبْنَةُ؛ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ»^(١).

والمعنى أنه متمم ومكمل وخاتم لرسالات المرسلين، التي
ترتكز على:

(١) أخرجه البخاري [الفتح: ٦٤٥/٦ (٣٥٣٥)]، (٦١) كتاب المناقب، (١٨) باب
خاتم النبيين ﷺ.

وأخرجه مسلم برقم [٢٠ - ٢٣ - (٢٢٨٦)]، (٤٣) كتاب الفضائل، (٧) باب ذكر
كونه ﷺ، خاتم النبيين.

• الأمر بالمعروف، والذي في مقدمته توحيد الله .

• والنهي عن المنكر، الذي في مقدمته الشرك بالله .

وإن هذا الأمر العظيم والمهمة الكبرى التي هي في الأصل رسالة ومهمة وواجب صفوة وسادات وخيرة الأمم، رسل الله الكرام عليهم الصلاة والسلام، هذه المهمة التي هي في الأصل وظيفة أولئك القوم، الذين أمرنا باتباعهم في مثل قول الله تعالى: ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾ . (الأنعام، الآية: ٩٠) .

• قد اختار الله تعالى أمة محمد ﷺ، للقيام بها، اختارهم الله واصطفاهم واجتباهم لها، بمثل قوله جل وعلا: ﴿وجاهدوا في الله حقَّ جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرجٍ ملَّةً أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبلُ وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس﴾ . (الحج، الآية: ٧٨) .

وبمثل قوله تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمةً وسطاً لتكونوا شهداء على الناس﴾ . (البقرة، الآية: ١٤٣) .

نعم أقول: اختارهم واجتباهم للقيام بهذه المهمة الكبرى العظيمة، ووصفهم بأرقى وأعظم وأجل وصف، يؤهل بالقيام

بمثل هذا العمل المهم، بالقيام بحمل أعظم دين وأكمل دين، وأيسر دين، وأجمع دين، أنزله الله تعالى على الأرض على نبيه محمد ﷺ، ليدين به العباد جميعاً؛ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾. (الأعراف، الآية: ١٥٨).

• ووصفهم سبحانه وتعالى بأوصاف راقية، تتلاءم مع المهمة العظيمة الكبرى، وتتناسب معها، يقول تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾. (آل عمران، الآية: ١١٠).

ويقول تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾. (التوبة، الآية: ٧١).

• وإن الله الذي وصفهم بهذه الأوصاف أمرهم أمر إيجاب، أمرهم بتأصيل هذه الأمور، وبتريخها، وتقويتها في النفوس، وبالعمل على استمراريتها، وبقائها قائمة في واقع الأمة، بقوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾. (الأعراف، الآية: ١٩٩).

ويقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. (آل عمران، الآية: ١٠٤)

ويقوله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ . (الحجر، الآية: ٩٤).
ويقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ
كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ . (الأنفال، الآية: ٣٩).

وفي الحديث الذي رواه الإمام مسلم رحمه الله تعالى عن
جابر بن سمرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ، أنه قال: «لن
يربح هذا الدين قائماً يُقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم
الساعة»^(١).

وفي مسلم عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول
الله ﷺ: «لا تزال عصابة من أمتي يُقاتلون على أمر الله قاهرين
لعدوهم لا يضرهم من خالفهم حتى تأتيهم الساعة وهم على
ذلك»^(٢).

(١) أخرجه مسلم برقم [١٧٢ - (١٩٢٢)]، (٣٣) كتاب الإمارة، (٥٣) باب قول النبي ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي...» الحديث.

(٢) أخرجه مسلم برقم [١٧٦ - (١٩٢٤)]، (٣٣) كتاب الإمارة، (٥٣) باب قول النبي ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي...» الحديث.

ورضي الله عن حسان بن ثابت القائل :

دعا المصطفى دهرأً بمكة لم يجب

وقد لان منه جانب وخطاب

فلما دعا والسيف صلت بكفه

له أسلموا واستسلموا وأنابوا

فخيرية هذه الأمة، مرتبط بمحافظتها على ما وصفت به،

وبقيامها بما كلفت به من الله، لا أن تدعي تلکم الأوصاف

دعاوى وتقولها نظريات - مع الأسف - لا واقع لها في كثير من

أعمالها.

يقول الشاعر: (١)

لا درأً درُ أمریء يطري أوائله فخراً

ويطرق إن ساءلته ما هو؟

* * *

(١) البيت للشاعر (محمود غنيم) من قصيدته المعروفة والتي مطلعها:

أضحى كلانا يعاف الغمض جفناه

أهون بما في سبيل الحب ألقاه

مجداً تليداً بأيدينا أضعناه

تجده كالطير مقصوفاً جناحاه

مالي ولنجم يرعاني وأرعاه

لا تحسبني محباً يشتكي وصبا

لإني تذكرت والذكرى مؤرقة

أنسى التجهت إلى الإسلام في بلد

بشائر وانذارات القرآن:

أيها الإخوة:

إن الله جل وعلا، الذي اصطفانا وأكرمنا أمة محمد، واجتباننا للقيام بهذا الأمر العظيم، والمهمة الكبرى، قد بشر وأنذر.

• أنذر الذين تخلوا عن هذا الأمر، تخليًا كليًا أو جزئيًا.

• وبشر المتزمين له والقائمين به.

* أنذر المتخلين وما أكثرهم في الأمة، ولا سيما - مع الأسف - من مكن الله لهم في الأرض من أصحاب السلطة، ولم يفوا بحق هذا التمكين، أنذرهم بمثل قوله جل وعلا: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ. كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾. (المائدة، الآيتان: ٧٨، ٧٩).

وقوله تعالى - وهذا يهم العلماء -: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السَّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾. (المائدة، الآية: ٦٣).

وروى ابن جرير عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «ما في القرآن آية هي أشد توبيخاً من هذه الآية». يعني قوله تعالى: ﴿لولا ينهاهم الربانيون﴾. الآية^(١).
 وأنذرهم بمثل قوله تعالى: ﴿وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾. (محمد، الآية: ٣٨).
 وقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعززة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾.
 (المائدة، الآية: ٥٤).

* وبشر المنتزمين لتلك الأوصاف - وما أقلهم - بشرهم بمثل قوله جل وعلا: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾. (النور، الآية: ٥٥).

(١) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٧٤، من تفسير الآية ٦٣ من سورة المائدة. ط مكتبة دار التراث - مصر.

وعلى رأس هذه الأعمال الصالحة، واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وبشرهم بمثل قوله تعالى: ﴿وَلِيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ﴾. (الحج، الآية: ٤٠).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾. (الحج، الآية: ٣٨).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾. (النحل، الآية: ١٢٨).

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعِزِّ بَيْتِهِمْ بِيَمِينِهِمْ وَأَفْجَقُوا بَصَارَهُمْ فَظَلَمُوا بِهَا كَثِيرًا مِّن دُونِهَا وَلِيَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَظِيمٌ فَالْعَمَلُ بِمَعْرِفَةِ اللَّهِ وَالْحَقِيقَةِ بِرَبِّهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾. (الأعراف، الآية: ١٦٥).

بشائر وانذارات السنة

وكما جاء القرآن مبشراً ومنذراً وواصفاً لتلك الأوصاف،
وحياناً عليها، فقد جاءت السنة الغراء، بالبيعة به على كل
مسلم.

جاءت بالبيعة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

• روى البخاري ومسلم - رحمهما الله تعالى - عن عبادة بن
الصامت، عن أبيه عن جده رضي الله عنهم قال: «بايعنا
رسول الله ﷺ، على السمع والطاعة، في العسر واليسر،
والمنشط والمكره، وعلى أثره علينا وأن لا ننازع الأمر أهله،
قال: إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان وعلى أن
نقول الحق أينما كنا لا نخشى في الله لومة لائم»^(١).

(١) أخرجه البخاري [الفتح: ٧/١٣ (٧٠٥٦)]، (٩٢) كتاب الفتن، (٢) باب قول
النبي ﷺ: «سترون بعدي أموراً تنكرونها»، وأيضاً - (٩٣) كتاب الأحكام، (٤٣)
باب كيف يبايع الإمام الناس.
وأخرجه مسلم برقم [٤١، ٤٢ - (١٧٠٩)]، (٣٣) كتاب الإمارة، (٨) باب وجوب
طاعة الأمراء في غير معصية ومحرمها في المعصية.

• وروى الإمام مسلم رحمه الله تعالى عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له حواريون وأصحاب، يأخذون بستته، ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف بعدهم خلوف^(١) يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدكم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»^(٢).

• وروى الإمام مسلم أيضاً عن أم سلمة زوج النبي ﷺ عن النبي ﷺ، أنه قال: «يستعمل عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون فمن كره فقد بريء ومن أنكر فقد سلم»^(٣).

(١) خُلُوف: بضم الخاء، جمع خَلْف، يقول أهل اللغة: خَلَفَ كذا إذا جاء بعده، لكنها بالفتح (خَلَفَ): وهو الخالف بخير، وبالاسكان (خَلَفَ): وهو الخالف بشر. قال تعالى: ﴿فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيًّا﴾.

(٢) أخرجه مسلم برقم [٨٠ - (٥٠)]، (١) كتاب الإيمان، (٢٠) باب بيان كون النبي عن المنكر من الإيمان... الخ.

(٣) أخرجه مسلم برقم ٦٢ - (١٨٥٤)]، (٣٣) كتاب الإمارة، (١٦) باب وجوب الإنكار على الأمراء فيما يخالف الشرع الخ.

ولا يفهم أن درجة الكراهة أقوى من درجة الإنكار، فالبراءة
هنا محمولة على من كرهه بقلبه إذا لم يكن له مجال في استعمال
اللسان؛ ولا في استعمال اليد.

أهمية هذا الأمر

بعد هذا البيان من الكتاب والسنة، وبعد هذا التذكير والتنبه اللذين نُذكرُ بهما من جفوا في هذا الأمر. ونبه ونصح بهما من لديهم بقايا عسى أن يقوى ذلك في قلوبهم.

وبعد:

فإننا بهذه الآيات، وبهذه الأحاديث، وبهذه اللفتة، وبهذه الذكرى.

إنما ندعو علماء المسلمين، وشباب المسلمين ومفكرهم، والغيورين على مصالحهم، ممن يدركون فساد الوضع وخطورة الموقف، وضرورة الأخذ بالمبدأ القائل: «لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما صلح به أولها».

* ندعوهم بأن ينفضوا الغبار، وبأن يتقوا الله؛ وبأن يخافوا الله، وبأن يهبوا ويرسلوها صيحة حق، ودعوة هدى، إلى إصلاح ما اعوجَّ من أمر المسلمين، وإلى إقامة ما فسد من أمر الأمة في مجال حكم أو تحاكم أو سلوك أو اعتقاد أو معاملة، أو صلة بغيرهم ممن ليسوا على دينهم.

* إننا ندعوهم أن يلبوا نداء الداعية، نداء الحق الذي يقول: ﴿فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد في الأرض﴾. (هود، الآية: ١١٦).

• نداء الحق العالم بما يترتب على القيام بهذا الأمر من نجاة وعزة وكرامة وعلو في الدنيا والآخرة، وطيب محيا وطيب ممات.

• وما يترتب على إهماله من هلكة وذل وهوان وتفرق، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

• نداء من يقول: ﴿يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾. (الأنفال، الآية: ٢٤).

والذي به حياتنا أن نرجع إلى أصولنا، وأن نقوم بواجبنا وأن ننظر في تاريخ أسلافنا الذين قاموا بهذا الأمر، فنقتدي بهم خير اقتداء.

ثم قال تعالى في آخر الآية: ﴿واعلموا أن الله يَحُولُ بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون. واتقوا فتنة لا تُصيبنَّ الذين ظلموا منكم خاصة﴾. (الأنفال، الآيتان: ٢٤، ٢٥).

ويقول رسولنا ﷺ: في مجال ندب المصلحين، ندب العارفين، الشاعرين بخطورة الوضع، وتدهور الموقف، عن النعمان بن بشير - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ، قال: «مثل

القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، وكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً»^(١).

- إن لم يأمر المصلحون بالمعروف!!
 - إن لم ينتفضوا للإصلاح!!
 - إن لم يقوموا بأمر الله؛ هلكوا جميعاً.
- أيها المسلم:

هذه تذكرة وموعظة بآثار هذا الأمر، وليعيها من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

ونأتي الآن على شيء من التفصيل في عناصر هذا الموضوع، وما توفيقى إلا بالله؛ عليه توكلت؛ وإليه أنيب.

(١) أخرجه البخاري [الفتح: ١٥٧/٥ (٢٤٩٣)]، (٤٧) كتاب الشركة، (٦) باب هل يقرع في القسمة؟ والاستهام فيه.

حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فرض كفاية .
ومعروف أن فرض العين هو الذي يتعين على كل شخص بعينه، كفرضية صلاة الجمعة .

وفرض الكفاية: هو الذي إذا قام به عدد يحصل بهم المقصود، سقط الإثم عن الباقيين .

وهذا يعني أنه واجب عيني على الجميع، لكن إن قام به عدد يحصل بهم المقصود^(١) برئت الذمة من الوجوب العيني، وبقي الندب لمن يقوم بهذا الأمر .

• ويناقد بعض العلماء أفضلية الواجب الكفائي، بأنه فاضل وأجره كثير، لأن العامل للواجب العيني أبرأ ذمة نفسه، أما من يقوم بالواجبات الكفائية فقد أبرأ ذمته وذمة غيره من الناس، وهذا يكون الواجب الكفائي أفضل من الواجب العيني .

(١) وأين المقصود اليوم في أي بلد نسأل الله العافية .

فالمخالصة:

أنه واجب كفائي، إذا قام به عدد تحصل بهم الكفاية؛ سقط الإثم عن مجموعة المسلمين. وإلا فالواجب قائم عليهم بالنصوص التي سبق ذكرها، والأوامر الصريحة التي تأمر بهذا الأمر والقرآن والسنة الشريفة شاهدان بذلك في أكثر من موضع.

ما ينبغي أن يتحلى به الآمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

أولاً: العلم:

يجب على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أن يكون عالماً بالشيء الذي يأمر به، وينهى عنه.

هذه الصفة لا بد أن توجد قبل البدء في الأمر والنهي، يكون عالماً بما يأمر به من معروف، وينهى به عن منكر.

ولا يعني هذا أنه لا يأمر إلا عالم بكل شيء، أو طالب علم، المهم القضية التي تنتهي عنها، على اعتبار أنها منكر، أو ستأمر بها على اعتبار أنها معروف تكون قد عرفتتها، حتى تكون على بصيرة، وتكون ممن قال الله تعالى فيه: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾. (يوسف، الآية: ١٠٨). أي على علم، وعلى هدى.

ومعلوم أن الغرض من هذا الأمر أن ينقذ الجاهل من جهله إلى العلم، والعاصي من عصيانه إلى الطاعة، وهذا لا يتم إلا بعلم.

وهذا العلم يجب أن يكون مستمداً من كتاب الله وسنة نبينا

محمد ﷺ .

ثانياً العلم:

يجب على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أن يكون حليماً، حتى لا يثور ويغضب عندما يجابه بشيء لا يرضيه أو لم يتوقعه. فيفسد أكثر مما يصلح، وحتى لا يثار فيُصبح الموضوع انتقاماً للنفس وتشفيماً لا إنكاراً لرضى الله سبحانه وتعالى، ورغبة في تصحيح الأوضاع.

فلا بد للداعية إلى الله أن يروض نفسه من قبل. يروضها على أن تكون حليلة لو لطمت في أحد خديها لذات الله لأعطت الخد الثاني إذا علمت أنها لله وفي سبيل الله. فلا بد أن يتحمل وأن يصبر وليعلم أن هذا العمل لله جل وعلا.

ثالثاً: الصبر:

الصبر على ما يناله، ولهذا وصفت هذه الأمة بالصبر، ودُعيت إليه، وأول ما أمر نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، بإبلاغ الرسالة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، في قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ. قُمْ فَأَنْذِرْ. وَرَبِّكَ فَكْبِّرْ. وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ.

والرُّجْزُ فَاهْجُرْ. وَلَا تَمَنَّ تَسْتَكْثِرُ. وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٧﴾. (المدثر،
الآيات ١-٧).

يأمر الله سبحانه وتعالى، الرسول ﷺ، بالأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر، ﴿قم فأنذر﴾، ثم يأمره سبحانه وتعالى،
بالصبر على ذلك. لأنه يعلم سبحانه أنه سيواجه بالابتلاء
والامتحان.

ولذا يقول العلماء: إن الصبر ورد في القرآن في أكثر من
تسعين موضعاً^(١).

والله قال لنبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿فاصبر كما صبر أولوا
العزم من الرسل﴾. (الأحقاف، الآية: ٣٥).

فلا بد للأمر بالمعروف أو الناهي عن المنكر، أن يروّض
نفسه على الحلم، وعلى الصبر لو أصيب في ذات الله.
والصبر منزلة عالية كبيرة لا ينالها إلا من وفق لها من الله
سبحانه وتعالى. ولهذا جعل الله ثوابه بغير حساب. فقال
تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾. (الزمر،
الآية: ١٠).

(١) تتبعها في المعجم المفهرس فوجدتها وردت ١٠٣ مرات.

مراتب وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

وهذه المراتب بينها لنا الرسول ﷺ، في قوله: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»^(١).

والخطاب هنا للجميع وكلمة (من) هنا في أول الحديث للعموم من العقلاء وتعم الصغير والكبير، والذكر والأنثى، وتعم أي واحد من أمة محمد ﷺ.

يقول العلماء: إنه يتعين إذا لم يعلم به إلا هو.

منكر ما علمه أحد إلا أنت، فهنا يتعين عليك أنت وحدك باعتبارك أنت المختص الذي رأته أن تنكره، ويصدق عليك قوله ﷺ: «من رأى منكم منكراً...» الحديث.

ومراتب وجوب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، من خلال الحديث هي:

(١) أخرجه مسلم برقم [٧٨- (٤٩)]، (١) كتاب الإيمان، (٢٠) باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان... الخ.

● الإنكار باليد .

● الإنكار باللسان .

● الإنكار بالقلب .

* من يقوى على إنكار منكر باليد وأنكره باللسان ولم يمثل المنكر عليه ، ولم يستعمل اليد يكون آثماً .

أما إذا لم يقدر على استعمال اليد وأنكر باللسان فذاك واجبه ، وقد قضى ما عليه وبرئت ذمته .

* من استطاع أن يقول قولاً في الخير في الأمر بالمعروف ، أو النهي عن المنكر ، وسكت ولم ينكره باللسان ، يكون قد عطل ما أقدره الله عليه فيعتبر آثماً . لأنه أنكره بقلبه وهو يستطيع أن ينكره بلسانه .

فليحاسب المرء نفسه مع هذه المراتب ، ويرى موقعه منها .

مراتب المنكر الذي ينكره المرء .

- يختلف المنكر قوة وضعفًا، فتارة يكون من الشرك، وتارة يكون من المعاصي، هذا من جانب.
- ومن جانب تفاوته في الأمر، إذا وجد منكرًا متفاوتًا فهنا يحكمه أو يدلنا على علاجه وإنكاره، قوله عليه الصلاة والسلام . فعن عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ، بعث معاذًا رضي الله عنه إلى اليمن فقال: «إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم، فإن هم أطاعوا لذلك، فإياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»^(١).

(١) أخرجه البخاري [الفتح: ٣٠٧/٣ (١٣٩٥)]، (٢٤) كتاب الزكاة، (١) باب وجوب الزكاة.

فإذا كان المنكر الذي أمامك درجات في حد ذاته، فابدأ
بأكبره وأعظمه. ولنوضح ذلك بالمثال التالي:

لنفرض أن أمامك زائياً خماراً مشركاً؛ وتريد أن تنكر
عليه^(٢). فهنا تبدأ معه بما يصلح معتقده وينقي سيرته، ويثبت
إيمانه، وبما يرده إلى التوحيد، فلو قال لا إله إلا الله ودخل في
الإسلام، جاء بها مستجمعاً لشروطها، ولم يرتكب مانعاً من
موانع الاستفادة منها، وعنده ما عنده من الكبائر. لو مات عند
هذه الخطوة لكان من المسلمين، وكان من أهل الجنة، إن دخل
النار طهر منها، وإن لم يدخلها وشمله قول الله تعالى: ﴿ويغفر
ما دون ذلك لمن يشاء﴾. (النساء، الآية: ٤٨).

إذن فلنبداً في معالجة المنكر بأهمه وأعظمه، ولنتدرج تدرجاً
تنازلياً لا تصاعدياً.

• وأما مراتب إنكار المنكر من جانب آخر، فقد ذكر ابن
القيم - رحمه الله تعالى - أربع مراتب وهي:

وأخرجه مسلم برقم [٢٩٩، (١٩)]، (١) كتاب الإيمان، (٧) باب الدعاء إلى
الشهادتين وشرائع الإسلام.

(٢) والإنكار هنا هو الدعوة، والدعوة هي الإنكار، وإن قسمت اصطلاحاً.

المرتبة الأولى :

أن يغلب على ظنك أنك إذا أنكرت هذا المنكر أن يحل محله معروف .

المرتبة الثانية :

أن يغلب على ظنك أنك إذا أنكرت المنكر أن يخف المنكر .

المرتبة الثالثة :

أن يتساويا، أي بمعنى أنه قد يترك المنكر الذي هو واقع فيه، لكن ينتقل إلى منكر يساويه .

المرتبة الرابعة :

أن ينتقل من منكر إلى ما هو أشد وأنكى منه .

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى :-

أما الأولان فمشروعان : يعني إذا كان إنكار المنكر يؤدي إلى إحلال معروف، أو يخفف المنكر فهذا لا يُختلفُ عليه .

وأما الثالثة إذا تساويا : يعني إذا خرج من كبيرة أنكرتها عليه، ذهب وارتكب كبيرة مشابهة لها . فيقول رحمه الله : «أما هذا فمحل اجتهاد» . بمعنى أن الإنسان يجتهد إن رأى المصلحة في الإنكار عليه أنكروا، وإن رأى المصلحة في تركه فليتركه .

وأما الرابعة وهي الخطرة: وقد قال: «إذا رأيت من هو على منكر وأنكرت عليه وترك ما هو فيه لذهب وارنكب لما هو أشد منه». ويضرب - رحمه الله - لهذا بمثال:

يقول: فلو أن رجلاً كان مغرمًا بقراءة كتب الجنس والروايات والغرام ومنهمكًا في هذا الأمر. وعنده رغبة في القراءة والاطلاع. ولكنك إذا أنكرت عليه وترك هذا المنكر لانتقل إلى كتب الابتداع أو الإلحاد. أيها أشد ضررًا. يقول: (نتركه على كتب الجنس الصادر عن مرض الشهوة. لئلا ينتقل إلى كتب الابتداع والإلحاد الصادر عن مرض الشبهة).

ومعلوم أن مرض الشبهة أشد وأنكى من مرض الشهوة، فيقول - رحمه الله تعالى -: (مثل هذا دعه لا تنقله من سوء إلى ما هو أشد منه).

● وينقل ابن القيم عن شيخه (شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى) ما نصه (فيقول: مررت أنا وبعض أصحابي في زمن التتار بقوم منهم يشربون الخمر فأنكر عليهم من كان معي، فأنكرت عليه، وقلت له: إنما حرم الله الخمر لأنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة، وهؤلاء يصددهم الخمر عن قتل النفوس)^(١).

(١) إعلام الموقعين جـ ٣ ص ١٦.

هل يلزم من إنكار المنكر مظنة الاستجابة

بعض الناس يطرح سؤالاً مضمونه: هل الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، مشروع على مستوى المراتب التي سبق ذكرها؟

وهل يلزم من إنكار المنكر أن يغلب على ظنك الاستجابة أو لم يغلب؟

نقول: لا. لأن الاستجابة أمر لله وليس لك، إن عليك إلا البلاغ، كما قال تعالى لنبيه ﷺ.

عليك الأمر، عليك النهي، عليك هداية الدلالة التي أمر الله رسوله ﷺ، بها في قوله تعالى: ﴿وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم﴾. (الشورى، الآية: ٥٢).

فلا يلزم ألا تأمر فلاناً بمعروف ولا تنهه عن منكر إلا إذا غلب على ظنك أنه يستجيب. وهذا حجر عثرة في الدعوة إلى الله، وحجر عثرة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فأنت عليك العمل، وعليك هداية الدلالة، وعليك البلاغ، كما قال تعالى لنبيه، عليه الصلاة والسلام.

أما كون المأمور أو المنهي يقبل أو لا يقبل فهذه من الأمور المنفية عنك وعن من هو أفضل منك! يقول تعالى لنبيه، عليه الصلاة والسلام: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾. (القصص، الآية، ٥٦).

ولا ينبغي القول بمظنة الاستجابة؛ لأنه يعطل الدعوة إلى الله، ويعطل الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

ولكن لو قام اثنان بمنكرين وأحدهما يغلب على الظن استجابته، والآخر بضد ذلك ولا طاقة لك إلا بالإنكار على أحدهما فبداءتك بمن تُظنُّ استجابته أولى وأحرى، وكذا لو كان بك طاقة على الإنكار عليهما. فابتدأوك بمن تظن استجابته خير وأجمل، لتقليل فاعلي المنكر، وإضعاف المنكر قبل الإنكار على من قد يشتد في البقاء على منكره.

هل يلزم من إنكار المنكر ألا يكون المنكر مرتكباً لذلك المنكر؟

رجل يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، فهل يلزم أن يكون في أمره بالمعروف قد امتثل وفي نهيهِ عن المنكر قد انتهى؟ الصحيح أنه لا يلزمه ذلك.

فارتكابه للزنى مثلاً معصية كبرى، ونهيهِ عنها بجد وصدق طاعة يدخل في ميزان حسناته.

● فارتكابه السوء معدود عليه في حساب السيئات.

● ونهيهِ الغير عن فعل هذه المعصية، محسوب له عند ربنا

في ميزان الحسنات.

قال الله تعالى، في حق بني إسرائيل: ﴿كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون﴾. (المائدة، الآية: ٧٩). قال القرطبي في تفسيره: «وقال حُذَّاق من أهل العلم: وليس من شرط الناهي أن يكون سليماً عن معصية، بل ينهى العصاة بعضهم بعضاً». وقال بعض الأصوليين: «فُرِضَ على الذين يتعاطون الكؤوس أن ينهى بعضهم بعضاً»، واستدلوا بهذه

الآية، قالوا: لأن قوله: ﴿كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه﴾. يقتضي اشتراكهم في الفعل وذمهم على ترك التناهي^(١). إلا أنه قد يتأكد الأمر عليه أكثر، لأنه عرف أن هذا منكر وارتكبه، ويقول للناس لا ترتكبوه، وعرف أن هذا معروف وتركه، ويقول للناس افعلوه، فليس ثمة شك في أن هذا نقص، وأنه عيب، وليس خافياً أن من وسائل الاستجابة امتثال الأمر بما يأمر وانتهائه عما ينكر.

وفي مثله جاء قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون. كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون﴾. (الصف، الآيتان: ٢، ٣).

والحاصل: أنه يلزمه الأمر بالمعروف حتى وإن لم يمثله، ويلزمه النهي عن المنكر وإن ارتكبه، ومن العار والعيب أن يبقى قوله مخالفاً لفعله.

(١) تفسير القرطبي: ٢٥٣/٦.

الأساليب التي تستعمل في الأمر بالمعروف

والنهي عن المنكر

الأساليب التي ينبغي أن تستعمل في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، أو في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، كثيرة وواسعة، منها: ما مر في كلامي، مثل البداية بالأهم. ومثل توخي النفع بالأمر والنهي، وتغيير الحال، وما إلى ذلك.

* إلا أنه ينبغي للمسلم أن يسبر الوقت الذي يعيش فيه، والحالة التي هو فيها، ومن سيواجه بالأمر بالمعروف، ويسبر حاله وتحمله فيما لو ضرب أن يعرف الوضع الذي يحيط به، ويعالج المنكر حسب الاستطاعة، وحسب الإمكان، فإن كان يحتاج لقوة فليستعمل القوة، وإن كان محتاجاً للتعريض استعمل التعريض.

وهذا موضوع واسع، لكن المؤمن الذي يتحرى في هذه الأشياء ويجتهد في القيام بالحق يهديه الله إليه، قال تعالى: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾. (العنكبوت، الآية: ٦٩).

وكلما كان الإنسان هادياً، وكان متحيباً إلى الناس، وكان ملتزماً للخير، كان أدعى لقبول قوله وأسمع.

* ومن الأساليب اللين والتودد، يقول تعالى: ﴿ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾. (آل عمران، الآية: ١٥٩).

يُبين لنا الله سبحانه وتعالى، أن اللين والتودد في الدعوة، وفي الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، أمر مطلوب ما لم يكن فيه إهانة للعلم، وإهانة بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر. اللين مطلوب وقد مر معنا ما يدل على ذلك، وخير قدوة لنا في هذا المجال الرسول ﷺ، فكان عليه الصلاة والسلام، كثيراً ما يُعالج المنكر بأسلوب يتلاءم مع الوضع الذي فيه المنكر.

• ففي صحيح مسلم، عن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه قال: «بيننا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ، إذ عطس رجل من القوم، فقلت: يرحمك الله، فرماني القوم بأبصارهم فقلت: واثكل أمياه^(١) ما شأنكم تنظرون إلي فجعلوا يضربون

(١) والله أعلم أنه لم يعرف أن النهي عن الكلام في الصلاة قد أمر الناس به، وأن الكلام في الصلاة قد نسخ ونهى الناس عنه، لأنه في أول الإسلام كانوا يتكلمون في الصلاة فنهوا عن ذلك.

بأيديهم على أفخاذهم فلما رأيتهم يصمتونني، لكنني سكتُ، فلما صلى رسول الله ﷺ، فبأبي هو وأمي ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه، فوالله ما نهرني ولا ضربني ولا شتمني قال: إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن»^(١).

• وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قام أعرابي فبال في المسجد، فتناوله الناس، فقال لهم النبي ﷺ: «دعوه، وهريقوا على بوله سجلاً من ماء، (أو ذنوباً من ماء) فإننا بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين»^(٢)، وهذا لفظ البخاري.

وعند ابن ماجه، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: «دخل أعرابي المسجد ورسول الله ﷺ، جالس، فقال: اللهم اغفر لي ولمحمد. ولا تغفر لأحد معنا. فضحك رسول الله ﷺ، وقال: لقد احتظرت^(٣) واسعاً ثم ولي حتى إذا كان في

(١) جزء من حديث رواه مسلم بطوله برقم [٣٣ - (٥٣٧)]، (٥) كتاب المساجد ومواضع

الصلاة، (٦) باب تحريم الكلام في الصلاة، ونسخ ما كان من الإباحة.

(٢) أخرجه البخاري [الفتح: ٣٨٦/١ (٢٢٠)]، (١٤) كتاب الوضوء، (٥٨) باب صب الماء على البول في المسجد.

(٣) احتظرت واسعاً: أي ضيقت واسعاً، والمعنى أنك ضيقت رحمة الله ومغفرته علينا فقط. وهي واسعة تسع كل عباده سبحانه وتعالى.

ناحية المسجد فشح بيول . فقال الأعرابي بعد أن فقه ، فقام إليّ
بأبي وأمي . فلم يؤنب ولم يسب . فقال : إن هذا المسجد لا يبالي
فيه . وإنما بني لذكر الله وللصلاة . ثم أمر بسجل من ماء ،
فأفرغ على بوله»^(١) .

فالأمر والناهي ينبغي أن يستعمل الأساليب التي فيها لين ،
ورفق ، ورحمة لكي يحبه الناس ، ويستمعوا لقوله ، ولكي
تنعطف قلوبهم إليه ، لأنك تسعى لإصلاحهم ولمّ شملهم ،
وتعليمهم ، وهدايتهم لا للشماتة بهم وتحقيرهم ، وفضحهم
والسخرية منهم ، وهذا ديدن الطبيب ، فإنه لا ينتهر المريض بل
يلين له القول حتى يقبل منه ويستمع إليه .

* ومن الأساليب أن الأمر السري لا يجوز أن يعالج علناً
بل يعالج سراً ، لئلا يفشو المنكر ، ولئلا يفتضح فاعله ، وإذا
كان ظاهراً فإنه يعالج علناً ولا حرج في ذلك ، لأن صاحب
المنكر هو الذي فضح نفسه ، وأعلن البلاء على نفسه .

(١) أخرجه ابن ماجه بهذا اللفظ برقم (٥٢٩) ، (١) كتاب الطهارة وسننها ، (٧٨) باب
الأرض يصيبها البول كيف تغسل .

وأخرج مسلم بعض ألفاظه من حديث أنس بن مالك ، برقم [١٠٠ - (٢٨٥)] ، (٢)
كتاب الطهارة ، (٣٠) باب وجوب غسل البول وغيره . الخ .

المداهنة والمداراة

المداهنة:

يقول العلماء في تعريفها: «المداهنة أن تسكت عما يجب عليك النطق به، أو أن تترك ما يجب عليك فعله لغرض دنيوي».

أما المداراة:

فهي أن تدرأ الشرّ عن الدعوة إلى الله، أو تدرأها عن نفسك في مجال الدعوة إلى الله^(١).

فالأولى في أمر خاص، وهذه في أمر عام.

قال الحافظ ابن حجر، في فتح الباري، ما خلاصته:

الفرق بين المداراة والمداهنة:

إن المداراة: هي خفض الجناح للناس والرفق بالجاهل في التعليم، وبالفاسق في النهي عن فعله، وترك الإغلاظ عليه حيث لا يظهر ما هو فيه، والإنكار عليه بلطف القول والفعل،

(١) الدرر السنية جـ ٧، ص ٣٥-٣٦.

ولاسيما إذا احتيج إلى تألفه، وهي من أخلاق المؤمنين ومندوب إليها.

والمداهنة: وهي مأخوذة من الدهان، وهو الذي يظهر على الشيء ويستر باطنه: كمعاشرة الفاسق، وإظهار الرضا بما هو فيه من غير إنكار عليه، وهي محرمة منهي عنها^(١).

وقال ابن القيم، في كتابه الروح، ما ملخصه:
والفرق بين المداراة والمداهنة:

أن المداراة: التلطف بالإنسان لتستخرج منه الحق، أو ترده عن الباطل.

والمداهنة: التلطف به لتقره على باطله، وتتركه على هواه.

فالمداراة لأهل الإيمان، والمداهنة لأهل النفاق.

مثال ذلك: «رجل به قرحة فجاءه الطبيب الرفيق فتعرف

على حالها، ثم أخذ في تليينها حتى إذا نضجت بطها برفق

وسهولة، فأخرج ما فيها ثم وضع عليها من الدواء ما يمنع

الفساد ويقطع المادة، ثم تابع عليها المراهم المنبثة للحم، ثم

ذرَّ عليها ما ينشف الرطوبة، ثم شدَّ عليها الرباط، ولم يزل

حتى صلحت، فهذا المداري.

(١) فتح الباري: ٤٢٨/١٠.

وأما المداهن فقال لصاحبها: لا بأس عليك منها، وهذه لا شيء! فاسترها عن العيون بخرقة ثم أله عنها، وهذا لما رأى من جزعه من بطها، فلم تزل مادتها تقوى وتستحکم، حتى زادت موادها وعظم فسادها»^(١) انتهى

إذا كان الوضع يقتضى ألا تنكر باليد وتركت الإنكار باليد مداراة خشية أن تتضرر أو يتضرر من حولك، هذا لا يكون فاعله مرتكباً منكرًا.

ومما يدل على هذا، أن الرسول عليه الصلاة والسلام، جلس في مكة ثلاثة عشر عامًا بعد الرسالة يأتي للبيت ويطوف به، والأصنام معلقة ثلاثمائة وستون صنمًا، ويصلي وهي أمامه، وكان ينكر باللسان، لكن لما لم يكن له قوة تحميه ولما كان استعمال اليد في ذلك الوقت يأتي بمردود أشد وأكثر بلاءً للإسلام والمسلمين ما استعمل القوة أبدًا.

ولكنه لما عاد فاتحًا لها هل جاء بما يسميه بعض الناس في عصرنا سنة التدرج في إزالة المنكر، أو سنة التصحيح أو سنة الوضع، أو ما إلى ذلك بل أقبل عليها بالقضيب يضربها وهو يقرأ قول الله: ﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان

(١) الروح لابن القيم ص ٢٨١.

زهوقاً ﴿ (الإسراء، الآية: ٨١).

فالمداواة مرتبطة بالأمر العام، بأمر الدعوة، بأمر إنكار المنكر، بمصلحة الدعوة نفسها، ومصلحة إنكار المنكر نفسه، فإذا اقتضى الحال أن تسكت عن أمر ما لأنك لو نطقت بإنكاره لجاءك ضرر أو انتقل الضرر إلى دعوتك أو من حولك، فهنا تسكت مداواة ودرءاً للفتنة، لا مدهانة وتملقاً للباطل وأهله.

ما يترتب على الامتثال من خير وعلى الإهمال من شر

الأثار المترتبة على امتثال الأوامر التي جاءت بالأمر بالمعروف، أو على الإهمال له، لا أكرر القول فيها ولا أطيله، لكن في هذا الموضوع ما ختمت به الاستعراض قبل التفصيل من قول الله سبحانه وتعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾. (الأنفال، الآية: ٢٤).

فلاستجابة تجعلنا نحيا حياة طيبة، ونعز ونعلو على الأمم، ونؤهل لحمل الرسالة وللشهادة على الناس يوم يقوم الأشهاد. أما عدم الاستجابة فبضدها تتبين الأشياء.

وكذلك في الحديث الذي ختمت به مع الآية أيضاً قوله عليه الصلاة والسلام: «مثل الواقع في حدود الله والقائم فيها... الحديث».

- فهذه آثار إن قامت الأمة بهذا الأمر اقترن بقيامها العزة والكرامة والألفة، وضع ما شئت من الأوصاف الفاضلة.
- وإن لم يقوموا به فخذ مالا يجوز أن يؤخذ ولا يرضى أن

يوصف به من هوانٍ ومن ذلّةٍ .

وفي واقع المسلمين ما يشهد لهذا، فالأمة لما أن كانت أمة فعالة غزت القلوب قبل أن تغزو الأجسام، كانت ذات صدارة، وذات قيادة، أما وقد أصبحت أقوالاً فارغة، يتحدث أحدهم ويفتخر بأمورٍ هم عارون منها، يفتخرون بآباء وأفعال من مضى، وإذا سبرت حالهم على حال أولئك وجدتهم يناقضونها.

وواقع المسلمين - وللأسف - في المجموع لا في الأفراد، ففي الأفراد من هم أعزة والحمد لله، وكرماء وأحبة لله، يحسبون كذلك، والله حسيبهم. أما في المجموعات فمع الأسف هم غشاء كغشاء السيل. والسبب أنهم تخلوا عن تلك المواصفات فاتصفوا بضدها.

- بعد أن كانوا أرقى الناس صاروا أخط الناس .
- بعد أن كانوا أعز الناس صاروا أذل الناس .
- بعد أن كانوا في المقدمة صاروا في المؤخرة .
- بعد أن كانوا رؤساء أصبحوا مرؤوسين .
- بعد أن كانوا أئمة أصبحوا مأمومين .

والله تعالى المسئول أن يعيدهم إلى رشدهم، وأن يهدينا وإياهم سواء السبيل، وأن يقيم لهذه الأمة من يأمر بالمعروف ابتغاء وجه الله، وينهى عن المنكر ابتغاء وجه الله، نرجو الله أن يولي عليهم خيارهم ممن يأمرون بالمعروف حقاً، انطلاقاً من كتاب الله وسنة رسوله، وينهون عن المنكر انطلاقاً، من كتاب الله وسنة رسوله.

وأخيراً - أرجو ألا يكون الأخير في هذه اللقاءات الخيرية - أنصح نفسي وأنصح الدعوة إلى الله والأميرين بالمعروف والناهين عن المنكر بالاحتساب والصبر ومواصلة الجهود ومخاطبة الناس على ضوء ﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني﴾ . وقوله تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ . أستغفرك وأتوب إليك .

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد ﷺ .

أسئلة حول^(١)

موضوع المحاضرة

(١) هذه الأسئلة ألقىت على فضيلة الشيخ عقب المحاضرة، نورها هنا - رجاء الانتفاع بها -

السؤال الأول:

هل يجوز للداعية أن يأخذ الموافقة من ولاة الأمر أو من الحكومة مثلاً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟

الإجابة:

الله المستعان، - مع الأسف - هذا السؤال منبعث من واقعنا المريض نحن المسلمين، فالله تعالى يقول: ﴿ولتكن منكم﴾ . ورسول الله ﷺ، يقول: «من رأى منكم منكراً». فما الذي يربط الدعوة بولي الأمر؟ وما الذي يربط إنكار المنكر بولي الأمر؟

أما الأمور الظاهرة فهذه يعالجها المختصون، ولكن الأمور الداخلية أو الأمور الفردية أو ما إلى ذلك فالمسلم يدعو إلى الله ممثلاً أمر الله الذي يقول: ﴿ادع إلى ربك﴾ . ويقول: ﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً﴾ . (فصلت، الآية: ٣٣). فليتعامل مع الله ويدعو لولاية الأمور بالدعوات الصالحة وبإلهادية لهم، وبأن يعدل الله حالهم، ويصلحها، أو يخلص المسلمين منهم، ويبدلهم بأفضل إن كان فيهم شر.

على كل حال إذا كان هناك تنظيمات ودعوته تستدعي أن يتصدر في منبر أو أن يتصدر في مؤتمر أو ما إلى ذلك، وهذا الأمر لا يصل إليه إلا عن طريق من يملك هذا الوضع، وله إشراف عليه، فلا بأس. ويكون هذا من باب التنظيم. أما أصل الدعوة فلا إذن فيه، الإذن في الشكليات التي يملكونها كما وضحت ذلك.

السؤال الثاني:

هل تبرأ الذمة بإنكار المنكر مرة واحدة أم أن الواجب الاستمرار؟
الاجابة:

لا تبرأ الذمة بإنكار المنكر مرة واحدة، إلا إذا كان منكراً واحداً ولم يتكرر ولم يقع مرة ثانية، فالمطلوب المواصلة في الإنكار فيما تكرر أو جدّ أو أصر عليه صاحبه. وقوله ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره... الحديث». عام يشمل من رآه أول مرة ومن تكررت رؤيته للمنكر.

السؤال الثالث:

كيف نأمر وننهي مرتكب المعصية إذا كان أباً أو أخاً أو عمّاً أو كبيراً؟

الاجابة:

المشروع أن يبدأ بالأقربين من عشيرته في الدعوة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر. يقول الله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾. (الشعراء، الآية: ٢١٤). ويقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾. (التحريم، الآية: ٦).

فالمؤمن يبدأ بمن حوله، ولا يجامل في أمره بالمعروف، أو نهيه عن المنكر مع قريب أو بعيد، فالله تعالى يقول لنبيه ﷺ: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ﴾. (الأعراف، الآية: ٢).

وقد قال النبي ﷺ: «لا يمنعن الرجل هيبة الناس أن يقول بحق إذا علمه أو شاهده أو سمعه»^(١).

(١) أخرجه الترمذي: ٣٠/٣، وقال حديث حسن صحيح.

وأخرجه ابن ماجه برقم (٤٠٠٧).

وضرب الله في القرآن أمثلة لما يتعلق بالأبوة ولما يتعلق بالبنوة
ولما يتعلق بالزوجة .

● اقرأوا قصة إبراهيم عليه السلام مع أقرب الناس إليه .
مع أبيه .

● وقصة نوح عليه السلام مع ابنه .

● وقصة امرأة فرعون مع زوجها وغيرها .

السؤال الرابع:

هل يلزمني لإنكار منكر أو لأمرٍ بمعروف أن أعرف الدليل وإن كان ذلك المنكر واضحاً عندي؟

الإجابة :

على كل حال أنا أشرت إلى هذا فيما ينبغي أن يتحلى به الأمر بالمعروف والناهي عن المنكر.

والداعية إلى الله يجب أن يكون على علم، وكلمة (على علم) تعني: أن عنده من الله فيه برهان.

فتكون على علم بما تنكره وتكون عارفاً لدين الله وعارفاً للدليل. بحيث لو نوقشت يكون عندك في هذا برهان.

أما أن تقول هذا منكر، وتسكت، دون معرفة للدليل، ثم إذا سُئلت عن الدليل قلت: أنا ما أدري سمعت فلاناً يقول: أنه منكر فأنكرت.

وقد يناقشك فاعل المنكر وينقدك وخاصة إذا كان صاحب حجة ويبين لك أنه معروف.

فالعلم لا بد منه والدليل أيضاً في مثل هذه الأمور التي يواجه بها الناس أرى أنه من الضروري معرفتها.

السؤال الخامس:

هل كتم الرسول ﷺ شيئاً من أمر الدين مداراة خوفاً على الدعوة؟

الاجابة:

لا . فلقد أدى الأمانة خير أداءٍ وشهد الله له بالبلاغ .

قد يكون هناك من الأمور الخبرية ما أخبر به بعض الناس دون بعض خشية أن يفتنوا وألا يتحملوا هذا الأمر أو إن كان وعداً يتكلوا عليه .

أو إن كان وعيداً أن يياسوا من رحمة الله سبحانه وتعالى .

ومن ذلك حديث معاذ بن جبل - رضي الله عنه - قال : «بيننا أنا رديف النبي ﷺ ليس بيني وبينه إلا آخرة الرحل فقال : يا معاذ، قلت : لبيك يا رسول الله وسعديك . ثم سار ساعة، ثم قال : يا معاذ، قلت : لبيك رسول الله وسعديك . ثم سار ساعة، ثم قال : يا معاذ بن جبل، قلت : لبيك رسول الله وسعديك . قال : هل تدري ما حق الله على عباده؟ قلت : الله ورسوله أعلم . قال : حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً . ثم سار ساعة

ثم قال: يا معاذ بن جبل، قلت: لبيك رسول الله وسعديك.
قال: هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوه؟ قلت: الله
ورسوله أعلم. قال: حق العباد على الله أن لا يُعذَّبهم^(١).
وزاد مسلم في صحيحه «قال: قلت يا رسول الله أفلا أبشر
الناس. قال: لا تبشرهم فيتكلوا»^(٢).

(١) أخرجه البخاري [الفتح: ٣٤٥/١١ (٦٥٠٠)]، (٨١) كتاب الرقاق، (٣٧) باب
من جاهد نفسه في طاعة الله.

وأخرجه مسلم برقم [٤٨، ٤٩ (٣٠)]، (١) كتاب الإيمان، (١٠) باب الدليل على
أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً.

(٢) أخرجه مسلم برقم [٤٩ (٣٠)]، (١) كتاب الإيمان، (١٠) باب الدليل على أن من
مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً.

السؤال السادس:

هل يجوز المداراة في أمور المعتقد بقصد جمع كلمة المسلمين مع اختلاف عقائدهم؟

الاجابة:

لا يجوز ذلك . وسمع قول الله تعالى : ﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآؤا منكم وما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدأ بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده ﴾ . (المتحنة، الآية: ٤) .
وقوله تعالى : ﴿ ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين ﴾ . (النحل، الآية: ١٢٣) .

السؤال السابع:

ما رأيكم بالعمل الجماعي في الدعوة لنصرة الدين؟
الاجابة :

العمل الجماعي مطلوب والله أثنى على المسلمين عموماً وندبهم
أن يلتقوا وأن يجتمعوا.

يقول تعالى : ﴿واعتصموا بحمبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾ . (آل
عمران، الآية: ١٠٣).

ويقول تعالى : ﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾ . (المائدة، الآية : ٢).

السؤال الثامن:

هل يجوز الكذب والغش للوصول إلى المصلحة العامة في إنكار المنكر؟

الاجابة:

على كل حال أنا لا أرى أن ينكر منكر بارتكاب منكر. والكذب لا يجوز إلا في حالات ثلاث، كما وردت في الحديث عن أسماء بنت يزيد قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا يحل الكذب إلا في ثلاث: يحدث الرجل امرأته ليرضيها، والكذب في الحرب، والكذب ليصلح بين الناس»^(١).

(١) أخرجه الترمذي برقم (١٩٣٩)، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في إصلاح ذات البين.

السؤال التاسع:

ما قولك في قول الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾ . (المائدة، الآية: ١٠٥). ؟
الاجابة:

الآية تفيد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في قوله سبحانه ﴿آمنوا﴾ وقوله ﴿إذا اهتديتم﴾ .

فمقتضى الإيذان الحق والهداية المطلوبة ذلك .

وقد روى أحمد وأبو داود وغيرهما عن أبي أمية الشعباني قال: أتيت أبا ثعلبة الخشني، فقلت له: كيف تصنع بهذه الآية؟ فقال: آية آية. قلت: قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾ . قال: أما والله لقد سألت عنها خبيراً، سألت عنها رسول الله ﷺ فقال: «بل ائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً، وهوى متبعاً، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بخاصة نفسك، ودع عنك أمر العامة»^(١).

(١) أخرجه ابن ماجه رقم (٤٠١٤)، (٣٦) كتاب الفتن، (٢١) باب قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم﴾ .

وعند ابن ماجه بلفظ : « فعليك خويصة نفسك . فإن من ورائكم أيام الصبر . الصبر فيهن على مثل قبض على الجمر . للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون بمثل عمله » .

ويلاحظ أن فضل الصحابة مطلق ، وأن هذا الفضل مقيد بالحالة المذكورة ، والفضل المطلق أفضل من الفضل المقيد .

السؤال العاشر:

ما معنى قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (نصفت، الآية : ٣٣) . ؟

الاجابة :

المعنى : لا أحد أحسن كلاماً وطريقة وحالة ممن دعا الناس إلى طاعة الله وطاعة رسله ، وذلك بتعليم جاهلهم ، ووعظ غافلهم ونصح معرضهم ، ومجادلة مباطلهم على ضوء ما سلف من قول الله تعالى : ﴿ أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْهُمْ بِالنِّبَاتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (النحل ، الآية : ١٢٥) .

الفهرس

٥	المدخل إلى الموضوع
١٢	بشارات وإنذارات القرآن
١٥	بشارات وإنذارات السنة
١٨	أهمية هذا الأمر
٢١	حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ما ينبغي أن يتحل به الأمر بالمعروف
٢٣	والناهي عن المنكر
٢٣	أولاً: العلم
٢٤	ثانياً: الحلم
٢٤	ثالثاً: الصبر
٢٦	مراتب وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
٢٨	مراتب المنكر الذي ينكره المرء
٣٢	هل يلزم من إنكار المنكر مظنة الاستجابة هل يلزم من إنكار المنكر ألا يكون المنكر
٣٤	مرتكباً لذلك المنكر

الأساليب التي تستعمل في الأمر بالمعروف

٣٦ والنهي عن المنكر

٤٠ المداهنة والمداراة

ما يترتب على الامتثال من خير

٤٤ وعلى الإهمال من شر

٤٧ الأسئلة

السؤال الأول:

هل يجوز للداعية أن يأخذ الموافقة من ولاة الأمر أو من

٤٨ الحكومة مثلاً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟

السؤال الثاني:

هل تبرأ الذمة بانكار منكر مرة واحدة

٥٠ أم أن الواجب الاستمرار؟

السؤال الثالث:

كيف نأمر وننهي مرتكب المعصية إذا كان

٥١ أباً أو أخاً أو عمّاً أو كبيراً؟

السؤال الرابع:

هل يلزمي لإنكار منكر أو أمر بمعروف أن أعرف الدليل

٥٣ وإن كان ذلك المنكر واضحاً عندي؟

السؤال الخامس:

هل كتّم الرسول ﷺ شيئاً من أمر الدين

٥٤ مداراة خوفاً على الدعوة؟

السؤال السادس :

هل يجوز المداراة في أمور المعتقد بقصد جمع

كلمة المسلمين مع اختلاف عقائدهم؟ ٥٦

السؤال السابع :

ما رأيكم بالعمل الجماعي في الدعوة لنصرة الدين؟ ٥٧

السؤال الثامن :

هل يجوز الكذب والغش للوصول إلى المصلحة العامة

في إنكار المنكر؟ ٥٨

السؤال التاسع :

ما قولك في قول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

عَلَيْكُمْ أَنْفُسِكُمْ لَا يُضْرَكُمْ مِنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾؟ ٥٩

السؤال العاشر :

ما معنى قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا

وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾؟ ٦١

قريباً يصدر عن دار العاصمة

- ١ - كن في الدنيا كأنك غريب الشيخ عمر العيد
- ٢ - إلى ربّات الحذور جمع وترتيب أبو أنس
- ٣ - تبصرة وذكرى جمع وترتيب أبو أنس
- ٤ - وقفة مع الامتحانات الشيخ عمر العيد
- ٥ - توجيهات إلى الصائمين والصائمات
الشيخ عمر العيد
- ٦ - توجيهات إلى الحجاج والمعتزمين .. الشيخ عمر العيد
- ٧ - كيفية أداء الوقت في مكة الشيخ عمر العيد
- ٨ - المسلمون والتحديات المعاصرة
الشيخ عبدالله بن حسن آل قعود

موافقة وزارة الاعلام رقم ٣٠٧٧ م وتاريخ ١٤/٥/١٤١١ هـ